الفصل الثالث
الأحرف السبعة وتعدد القراءات

ارتبطت القراءات القرآنية ارتباطا وثيقا بـ "الأحرف السبعة" التي ذكرت في حديث شريف، فمن قائل : إن القراءات هي تلك الأحرف، ومن قائل : إن تعدد القراءات سببه الأحرف السبعة، بل ذهب بعضهم إلى القول : إن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد على رأس المائة الرابعة! فما هي حقيقة ذلك كله؟

أولا : نص حديث الأحرف السبعة

الغرض من محاولتنا الإحاطة بنص حديث الأحرف السبعة ورواياته وطرقه هوالوقوف على ما لذلك من أهمية حين مقابلته بما فسّر به - فيما سوف نوضحه لاحقا - من الأقوال الكثيرة المختلفة التي يقف المرء أمامها حائرا لما انطوت عليه من اختلافات أواتجاهات متباينة بشكل كبير.

لا بد من الإقرار أولا أن هذا الحديث صحيح الإسناد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ، كما نص على ذلك أبوعبيد القاسم بن سلام[1]. وقد تعددت طرق رواياته كما صرح بذلك أكثر من واحد، منهم ابن الجزري الذي قال : "وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك، فروِيناه من حديث عمر ابن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمروبن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس ابن مالك، وسمرة بن جندب، وعمر بن أبي سلمة، وأبي جهيم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم[2] أيوب الأنصارية [امرأة أبي أيوب الأنصاري] رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: النشر جـ١ / ٢١

(٢) في: الإتقان جـ ١ / ٦١ "أبي أيوب"، وانظر: معجم القراءات القرآنية ١ / ٦٧ .

وروى الحافظ أبويعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوما وهوعلى المنبر : أذكر أن رجلا سمع النبي ﷺ قال : **إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف**، لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. فقال عثمان رضي الله عنه : وأنا أشهد معكم(١).

فهؤلاء عشرون (٢٠) صحابيا نسب إليهم أن قد رووا الحديث، وهوما يعني أنه لا مجال لأدنى شك في هذا الأمر. وقد زاد بعضهم : سليمان بن صرد(٢) فاكتمل العدد واحدا وعشرين (٢١) صحابيا، وذكر آخر(٣) هؤلاء جميعا ثم أردف ذلك بعبارة "وغيرهم ممن رواه" وهوما يعني أن رواته أكثر من ذلك العدد.

وهذا بيان بنص حديث الأحرف السّبعة كما رُوي عن بعض هؤلاء الصحابة المذكورين(٤):

١ - روي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال : "سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هويقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره(٥) في الصلاة، فانتظرته حتى سلّم ثم كَبَّبْتُه بردائه أوبردائي(٦) فقلت له : كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقتُ أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت : يارسول الله إني سمعت هذا يقرأ

---

(١) النشر، جـ١ / ٢١

(٢) انظر: الإتقان جـ١ / ٦١، ودراسات في علوم القرآن .ص٧٦، والأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات، فتحي بن الطيب خماسي، دار المعرفة، دمشق، طبعة أولى ١٩٩٥، ص ٨٢ .

(٣) هو الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه: دراسات في علوم القرآن، ص ٧٦ .

(٤) راجع نص هذا الحديث في: النشر جـ١ / ١٩-٢١، والإتقان جـ١ / ٦١، ٦٢، والبرهان جـ ١ / ٢١١، ٢١٢، ودراسات في علوم القرآن، ص٧٧-٨٠، والأحرف السبعة ص ٨٣-٨٧

(٥) كدت أساوره في الصلاة: أي أواثبه وأقاتله، انظر: لسان العرب جـ٣ / ٢١٤٧ مادة: سور.

(٦) هكذا في الحديث، والأرجح أنها: لبّبته بردائه الذي كان عليه، في لسان العرب (٥ / ٣٩٨١ مادة: لبب): لبّبت فلانا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره ثم جررته.

بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله ﷺ : أرسله ياعمر، اقرأ ياهشام. فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ : **إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.**"

٢ ـ وروى مسلم بسند عن أبيّ بن كعب قال : "كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه[١] ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ، فقلتُ : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غَشِيَني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال: يا أبيّ أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليه : أنْ هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية : اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه : أنْ هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت : اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرّتُ الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام".

وفي رواية ابن مسعود بعد الردة الثالثة : "**اقرأه على سبعة أحرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحوّل إلى غيره رغبة عنه.**"

وفي رواية أبي بكرة بعد الردة الثالثة : "**اقرأه على سبعة أحرف كل شافٍ كافٍ مالم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب.**"

٣ ـ وروى مسلم عن أبيّ بن كعب أيضا أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار[٢]،

---

(١) قيل: إن تلك القراءة كانت في سورة النحل، انظر: النشر جـ ١ / ٢٠ .

(٢) أضاة بني غفار: مستنقع ماء كالغدير قرب المدينة المنورة، ينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده.

قال : "فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ[1] القرآن على حرف. فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا."

٤ ـ وروى الترمذي عن أبيّ بن كعب أيضا، قال : "لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة[2]، قال : فقال رسول الله ﷺ لجبريل : إنّي بعثتُ إلى أمة أمّيين فيهم الشيخ الفاني[3] والعجوز الكبيرة والغلام، قال [جبريل]: فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف... وفي لفظ : فمن قرأ منها شيئا فهو كما قرأ."

وفي رواية حذيفة بن اليمان : "فقلت : يا جبريل، إني أرسلتُ إلى أمة أميّة فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط. قال [جبريل] إن القرآن أنزل على سبعة أحرف."

٥ ـ وروي البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال : "قال رسول الله ﷺ : أقرأني جبريل على حروف، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة."

٦ ـ وروي الحاكم وابن حبان عن ابن مسعود، قال : "أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم، فرحت إلى المسجد فقلت لرجل : اقرأها، فإذا هو يقرؤها حروفا ما أَقْرؤها، فقال : أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه

---

(١) تقرأ: فعل مجرد والأمة: فاعل، وفي رواية "تقرئ" مزيد (من أقرأ)، وأمتك: مفعول به وانظر: الجمع الصوتي ص ١٦٥، والقراءات المتواترة، ص٣٤، والنحو والقراءات (دكتوراه) محمد شاطر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، سنة ١٩٧٢، ص ٣٩ .

(٢) في النشر (جـ١ / ٢٠): أحجار المرا، بألف ممدودة، وهو موضع آخر (غير بني غفار) قرب المدينة.

(٣) في البرهان (جـ١ / ٢٢٧): "الشيخ الكبير" وفي موضع آخر: "الشيخ العاسي" بعين مهملة وسين مهملة أيضا، انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص٧٩ .

فغيّر وجهه وقال : "إنما أهلك مَنْ قبلكم الاختلاف" ثم أسرّ إلى علي ـ بن أبي طالب ـ شيئا، فقال عليّ : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عَلِمَ، قال : فانطلقنا وكل رجل يقرأ حروفا لايقرؤها صاحبه."

٧ ـ وروى الطبري والطبراني عن زيد بن أرقم، قال : "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبيّ بن كعب فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيِّهم آخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليّ إلى جنبه، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان منكم كما عَلِمَ، فإنه حسن جميل."

٨ ـ وأخرج الإمام أحمد ـ في مسنده ـ بسند عن عمروبن العاص "أن رجلا قرأ آية من القرآن، فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأي ذلك قرأتم أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر."

فهذه ثمانية أحاديث تروي مناسبة تسبيع أحرف القرآن، وتلاحظ أن بعضها راجع إلى بعض كما هوحال الأحاديث (ذات الأرقام : ٢، ٣، ٤) التي رواها أبي ابن كعب فأصلها حديث واحد اختلفت ألفاظه باختلاف طرق روايته، والمعنى واحد، يدل على ذلك بشكل واضح خواتم الأحاديث الثلاثة : فعبارة "ولك بكل ردة رددتها مسألة" تعني ما تعنيه العبارة " فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا" وهوكذلك المعنى المستخلص من عبارة "فمن قرأ منها شيئا فوكما قرأ".

وتلاحظ أيضا أن الحديثين السادس والسابع المرويين على لسان عليّ ابن أبي طالب لم يُشر فيهما إلى العدد سبعة (٧) الذي ارتبط بأحرف القرآن.

واقتُصر فيهما على عبارة لها أهمية في علم القراءات وهي أن يقرأ كلٌّ "كما علم"، وما عُلم من أمر القراءة مصدره الرسول ﷺ وهوأوجه كثيرة.

ولعله من المفيد أن نؤكد هنا على عناصر مهمة بدت لنا من خلال عرض هذه الأحاديث، وهي :

(أ) أن هذه الأحاديث تخص كيفية قراءة القرآن الكريم لا شيئا آخر كما زعم بعض المستشرقين الذين ادعوا أن الحديث لا علاقة له بقراءات القرآن، وسوف نعرض ذلك عند الحديث عن معاني الأحرف السبعة عند علماء المسلمين وغيرهم.

(ب) أن القصد من هذه الأحرف ـ كيفما كان عددها ـ التي نزل بها القرآن هوالتيسير على الأمة في القراءة والفهم.

(جـ) أن كون القراءة كانت على سبعة أحرف ـ بما يعنيه العدد سبعة من حقيقة أومجاز ـ كان بطلب من الرسول ﷺ إذ لم يجئه جبريل عليه السلام من رب العزة إلا بحرف واحد، وذلك ما دل عليه حديث ابن عباس (رقم ٥) صراحة، مع العلم أن هذه الأحرف جميعها قد علمها الرسول ﷺ بوحي من الله.

(د) أن هذه الأحاديث صَدرت عنْ الرسول ﷺ في مرحلة متأخرة من فترة نزول الوحي عليه، بعد أن كثر الداخلون في الإسلام من القبائل العربية التي تتباين لهجاتها[١]، وذلك بعد هجرة الرسول ﷺ، ومما يدُل على ذلك ما ورد في الحديث الذي رواه أبيّ بن كعب (رقم ٣ و٤) من أن الرسول ﷺ كان حين قاله " عند أضاة بني غفار" أو"عند أحجار المروة " وهما موضعان بالمدينة المنوّرة[٢]. وقال بعضهم : إن ذلك كان في آخر العهد المدني بعد صلح الحديبية، أوبعد فتح مكة[٣].

إن حديث "نزول القرآن على سبعة أحرف" قد ارتبطت به القراءات القرآنية ارتباطا وثيقا فعده الدارسون أصل كل حديث عنها والمعوّلَ عليه الأول في محاولة فهم اختلافها وتباينها.

وعلى الرغم من وضوح المناسبة التي قيل فيها هذا الحديث ـ كما سبق توضيحه ـ

---

(١) انظر: علوم القرآن، الدكتور: عبد الفتاح أبو سِنّة، دار الشروق، القاهرة، طبعة أولى ١٩٩٥، ص ٥٥ .

(٢) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٧٨ . (٣) انظر: علوم القرآن، ص ٥٤ .

فقد ذهب العلماء المسلمون وغير المسلمين مذاهب شتى في تفسيره، فكيف كان ذلك؟

ثانيا : آراء حول معنى الأحرف السبعة

اختلف علماء المسلمين حول معنى الأحرف السّبعة التي وردت في الحديث الشريف السابق اختلافا كبيرا حتى زاد عن المعقول، وأدى ذلك إلى حدوث اضطراب لدى الدارسين حوله، بل إن اختلاف السلف منهم في هذا الأمر كان سببا في استشكاله عند العلماء من الخلف، فهذا ابن الجزري مشهود له بطول باعه في القراءات وما اتصل بها من علوم القرآن، ومع ذلك فقد استعصى عليه فهم هذا الحديث فقال : "ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة.."(١) وهذا الأستاذ محمود العقاد ـ رحمه الله ـ لما سئل : لوأنك التقيت رسول الله ﷺ فعن أيّ شيء كنتَ سائله ؟ فأجاب : كنتُ أسأله عن معنى الأحرف السبعة(٢).

وربما اعتبر بعضهم هذا الحديث ـ نتيجة الاختلاف الكبير في معناه ـ أنه قد قُصد فيه عدم الإيضاح حتى ليبدو عندهم طلسما من الطلاسم التي لا أمل في الفوز بمعرفة حقيقتها.

لئن بلغ عدد رواة الحديث واحدا وعشرين صحابيا ـ وهوعدد يؤكد على صحته ـ فإن عدد الآراء المختلفة التي رويت حوله قد قاربت ضعف هذا العدد، قال السيوطي : "اختلف في معنى هذا الحديث على نحْوأربعين قولا(٣)".

ولا شك أن بلوغ الاختلاف إلى هذا الحد يكون مدعاة إلى التعمية والغموض لا إلى التوضيح والفهم. مع العلم أن مناسبة الحديث ـ كما سبق القول ـ معلومة وأنه قيل جوابًا عن اختلاف الصحابة في القراءة.

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٦ . (٢) انظر: علوم القرآن، ص ٥٣ .
(٣) البرهان، جـ١ / ٢١٢، والإتقان، جـ١ / ٦١، ٦٢ .

وهذا عرض بأشهر ما ورد في ذلك من الأقوال :

ـ الرأي الأول : وهو رأي أبي جعفر محمد بن سعدان النحوي (ت ٢٣١ هـ) ومن نحا نحوه، ومضمونه أن الحرف من المشكل الذي لا يدرى معناه لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفا[١]، وتُسمّي القصيدة بأسرها كلمة[٢]، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة[٣]، والحرف أيضا المعنى والجهة[٤].

ومعنى ذلك أن الحرف من المشترك اللفظي[٥] الذي لا يتعيّن المعنى المراد منه إلا بقرينة، ولعل القرينة الحالية لم تكن واضحة في ذهن ابن سعدان النحوي ـ ومن ذهب مذهبه ـ وأنه إنما كان يبحث عن قرينة مقالية صريحة فلم يجدها مما اضطره إلى الحكم على أن الحرف ـ في الحديث ـ "مشكل".

ـ الرأي الثاني : وهو رأي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) وآخرين، ملخصة أن الحروف معناها الأوجه ؛ قال ابن قتيبة : "وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه[٦]". وهذا بيان بهذه الأوجه:

ـ الوجه الأول : الاختلاف في إعراب الكلمة، أوفي حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى : ﴿**هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [هود : ٧٨] بضم الراء من أطهر" وفتحها، وقوله : ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ**﴾ [سبأ: ١٧] بفتحة على الراء، و"هل يُجازى إلا الكفورُ" بضمة على الراء.

---

(١) في لسان العرب (٥/ ٣٩٢٢ مادة: كلم): "والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء".

(٢) في لسان العرب (مادة: كلم): وتقع ـ الكلمة ـ على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها".

(٣) في لسان العرب (٢/ ٨٣٧، مادة: حرف): "الحرف من حروف الهجاء معروف: واحد حروف التهجي" وقد ورد للحرف في لسان العرب (مادة: حرف) حوالي تسعة معان، فانظرها.

(٤) انظر: البرهان، جـ١/ ٢١٣، والإتقان جـ١/ ٦١.

(٥) انظر: دراسات في علوم القرآن (مرجع سابق) ص ٨٢.

(٦) انظر هذه الأوجه في: النشر جـ ١/ ٢٧، ٢٨، والقراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ١٨، ١٩، والفرقان ص ١٢٦ ـ ١٢٩.

ـ **والوجه الثاني** : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة، نحوقوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ [سبأ : ١٩] بصيغة الطلب، و ﴿ **رَبَّنَا بَاعَدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ بصيغة الماضي، وقوله : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** ﴾ [النور : ١٥] بفتح اللام والقاف مع التضعيف[١]، و"تلقونه" بكسر اللام وضم القاف مع المد[٢].

ـ **والوجه الثالث** : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحوقوله تعالى : ﴿ **وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] بالزاي المعجمة، و"ننشرها" بالراء المهملة[٣].

ـ **والوجه الرابع** : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى :﴿ **إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً** ﴾ [يس : ٢٩] و"زقية واحدة".

ـ **والوجه الخامس** : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحوقوله تعالى : ﴿ **وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ** ﴾ [الواقعة : ٢٩] و"طلع[٤]".

ـ **والوجه السادس** : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحوقوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** ﴾ [ق : ١٩] و"وجاءت سكرة الحق بالموت".

ـ **والوجه السابع** : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [يس : ٣٥] و"وما عملت أيديهم"، وقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [لقمان : ٢٦] و"إن الله الغني الحميد".

---

(١) أصله : تتلقونه، حذفت تاء لتوالي الأمثال، ومعناه يأخذ بعضكم عن بعض. انظر: الكشاف للزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧، جـ٣/ ٢١٩ .

(٢) قال الزمخشري لـ(الكشاف ٣/ ٢١٩): "تلقونه وتألقونه من الولق والألق، وهو الكذب، والولق: الإسراع.

(٣) – معنى ننشزها: نرفعها ونركبها بعضها على بعض، وننشرها: نحييها.

(٤) الطلع: ما يطلع من النخلة فيصير تمرا، والطلع: الموز المرصوص.

هذه هي الأوجه السبعة التي يرى ابن قتيبة أنها تجيب عن سؤال كثيرا ما راود الدارسين العرب ومرتدي علوم القرآن من المسلمين وغيرهم، هو: ما المقصود بالأحرف السبعة ؟

إن تلك الأوجه من الأحرف ـ لاشك ـ واقعة مروية صحيحها وشاذها غير أنه لا يمكن الجزم أنها هي المقصودة في الحديث وإنّ تفسير ابن قتيبة لذلك لا يخلومن بعض المبالغات التي ألجأه إليها تمسكه بالعدد سبعة وعدم مراعاته للحقبة الزمنية التي تفصله عن عهد النبوّة الذي قيل فيه الحديث الشريف المذكور[١]، فركن في تفسيره إلى ما صارت إليه وجوه القراءات بعد ذلك بزمن طويل[٢]. وقد تنبه إلى ذلك قاسم ابن ثابت – فيما ذكره السيوطي – فرد على ما ذهب إليه ابن قتيبة بأن الرخصة في الأحرف السّبعة وقعت حين كان الناس لا يكتبون ولا يعرفون الرسم[٣]، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها[٤]. ولعل في ردّ كثير من أمثلة تلك الأوجه خلال الجمع العثماني مايدل على أنها ليست من الأحرف السّبعة المقصودة في الحديث، ولقد صُنّفت أمثلة كثيرة منها ـ فيما بعد ـ ضمن الشاذ الذي عُدّ من باب المترادف أوالشرح والإيضاح.

إن رأي ابن قتيبة قد مال إلى الأخذ به كثير من العلماء منهم : ابن حجر العسقلاني[٥] وأبوبكر الباقلاني[٦]، وابن الجزري الذي ذكر مضمون ما ذهب إليه ابن قتيبة مع اختلاف في الأمثلة، فتلك الأوجه السبعة هي عنده مما "يمكن أن يكون صوابا[٧]." فإن لم يكن المقصود هوتلك الأوجه فيرجح أن يكون ـ عنده ـ أوجه أخرى هي : "اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل مما يُعبّر عنه بالأصول[٨]."

---

(١) انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٠ . (٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢ .
(٣) سنبحث لاحقا قضية معرفة العرب للكتابة من عدمها في العهد النبوي وقبله.
(٤) انظر: الإتقان، جـ١ / ٦١، ٦٢ . (٥) انظر: الكلمات الحسان، ص ٩٥ .
(٦) انظر: الفرقان، ص ١٢٩، ١٣٠ . (٧) النشر جـ١ / ٢٦ .
(٨) النشر جـ١ / ٢٦ .

إن هذا الرأي على الرغم من تعبيره عن واقع لهجي عربي كان معنيًا في الحديث الشريف إلا أنه لا يمكن الجزم بأن ما تضمنه يحتوي الأحرف السبعة، إذ هي أوسع من ذلك، وتلاحظ أن ابن الجزري قد وقع في شراك العدد سبعة كما وقع ابن قتيبة، فاكتفى بذكر سبعة أزواج من أضداد أصول القراءات.

ومذهب الإمام أبي الفضل الرازي (ت ٢٩٠ هـ) في معنى الأحرف السبعة لا يختلف كثيرا عن مذهب ابن قتيبة فيها، فعنده أن هذه الأوجه هي[١] :

(أ) اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.

(ب) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

(ج) اختلاف وجوه الإعراب.

(د) الاختلاف بالنقص والزيادة.

(هـ) الاختلاف بالتقديم والتأخير.

(و) الاختلاف بالإبدال.

(ز) اختلاف اللغات (وهو الاختلافات الصوتية التي يعبر عنها بأصول القراءات).

ـ الرأي الثالث : وهو رأي أبي عبيد القاسم بن سلام وآخرين، ملخصه أن الأحرف معناها اللغات، قال أبوعبيد : "معنى : أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي : أنزل على سبع لغات لسبع قبائل : قريش، وكنانة، وأسد، وهذيل، وبنوتميم، وضبة، وقيس، وهم الذين انتهت إليهم الفصاحة، وسلمت لغاتهم من الدَّخل[٢]." وفي موضع آخر ذكر أن تلك القبائل هي : قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن[٣]، أي بإخراج كل من أسد وضبة وقيس، وضم كل من : ثقيف

---

(١) انظر: معجم القراءات القرآنية جـ١ / ٧١، والنشر جـ١ / ٢٧ .

(٢) الفرقان: ص ١٢٦ .

(٢) انظر: النشر جـ١ / ٢٤، وانظر موقع كل قبيلة من هذه القبائل على الأطلس اللغوي في كتاب: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٢١٦ .

وهوازن واليمن. وقال آخرون : "خمس لغات في أكناف هوازن : سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب.[١]" وقيل : إن المقصود بالخمس الذين من هوازن : سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف (ونسي ذكر الخامسة) ويقال لهم : عليا هوازن[٢].

وقيل : إن السبعة محصورة في الكعبيين : كعب قريش وكعب خزاعة[٣].

ويرى أبوحاتم السجستاني أن تلك اللغات هي : لغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن وسعد بن بكر[٤].

وقيل : إن تلك اللغات هي : العربية والحبشية والنبطية والسريانية والفارسية والطحاوية والرومية[٥].

إن رأي أبي عبيد هذا القائل بأن الأحرف لغات – قد مال إلى الأخذ به كثير من العلماء ذكر منهم السيوطي أبا عبيد وثعلب والزهري وابن عطية وأبا حاتم السجستاني وأبا علي الأهوازي[٦] كما مال إلى الأخذ به كل من الطبري وأبي شامة الدمشقي[٧].

والغالب في القصد أنّ تلك اللغات موجودة بنسب متفاوتة ضمن أحرف القرآن، وليس معناه أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات[٨]، وهوما أكد عليه أبوعبيد القاسم في قوله : "ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع متفرقة فيه (أي : في القرآن)، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة

---

(١) النشر جـ١ / ٢٤ .
(٢) انظر: الإتقاف جـ١ / ٦٢ والأحرف السبعة ص ٦٩ .
(٣) انظر الإتقان جـ١ / ٦٢، و الأحرف السبعة ص ٧٠ .
(٤) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٢ .
(٥) انظر: مقدمتان في علوم القرآن، ص ٢١٢ .
(٦) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٢ .
(٧) انظر: معجم القراءات القرآنية جـ١ / ٧٠، ٧١ .
(٨) ذلك ما عبّر عنه الزركشي بـ "أوجه المعاني المتفقة بالفاظ مختلفة" مثل: أقبل وهم وتعال، وعجّل وأسرع، وانظر وأخّر وأمهل... انظر: البرهان جـ ١ / ٢٢٠ .

هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم... وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً[1]".

إن هذا الرأي الذي يرى أن الأحرف السّبعة هي سبع لغات من لغات العرب متمسك هوالآخر بالعدد سبعة، لا يرى شيئا في غير ضوء ذلك العدد، وهو رأي مطعون فيه لذلك السبب، قال السيوطي : "واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات[2]." وهوقول مردود عند بعضهم لعلة هي "أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتها، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته[3]".

ويمكن القول أن هذا الرأي ـ على الرغم من ميل كثير من علماء السلف إليه ـ لا يخلومن بعض النعرات القبلية الضيقة، وذلك بتفضيلة لغات على أخرى، ثم إنه بتمسكه بالعدد سبعة يجنح إلى معارضة الغرض الذي قيل لأجله الحديث الشريف (أنزل القرآن...) وهوالتيسير لا التقييد.

ـ **الرأي الرابع** : وهو رأي رواه السّيوطي عن شَيْدَلَة، وملخصه أن معنى الأحرف هو الأصناف أو الأنواع أو المعاني، إذ أن بعض علماء الأصول والفقه يذهبون إلى أن الأحرف هي : الأمر، والنهي[4]، والحلال والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، وهي أصناف احتواها القرآن. وذهب البلاغيون[5] إلى القول بأن المراد بها : الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة، والتكرار والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسّر، والظاهر والغريب. والنحويّون قالوا : المراد بها : التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير

---

(١) الإتقان جـ ١ / ٦١، والبرهان جـ١ / ٢١٧ . (٢) الإتقان، جـ١ / ٦٣ .

(٣) الإتقان، جـ١ / ٦٣، وقد علل بعضهم لرفض هذا الرأي بعلل أخرى، انظر مثلا رأي الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه: دراسات في علوم القرآن، ص ٨٩، ٩٠ .

(٤) وقيل: "الزجر" بدل النهي. انظر: الإتقان جـ١ / ٦٤ .

(٥) في الإتقان (جـ١ / ٦٤): أهل اللغة.

والتعظيم، واختلاف الأدوات. والصوفية قالوا : هي الزهد والقناعة مع اليقين، والجزم[١] والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوّة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة، والمحبة والشوق مع المشاهدة[٢].

وهذه الآراء الأخيرة يغلب على الظن أنها مصنوعة إذ هي لا تمتّ لمعنى الحديث المذكور بصلة، فإن ثبت صحة نسبتها فهي تتعلق بشيء آخر غير حديث الأحرف السبعة.

وقد كفانا بعض علماء المسلمين مؤونة حين ردوا على أصحاب الرأي الأول منها، فقال أحدهم : "من أوّل السبعة الأحرف بهذا فهو فاسد لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لا ما سواه وحلالا لا ما سواه[٣]...".

وقال ابن عطية ـ فيما رواه السّيوطي ـ : "هذا القول ضعيف لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة[٤]." وقال الماوردي فيما رواه السّيوطي وغيره ـ : "هذا القول خطأ لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل حرف من الحروف وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام[٥]." وقال أبوشامة : " يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أي أنزله الله على هذه الأصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب[٦]."

وعلق ابن الجزري على هذه الآراء فقال : "وهذه الأقوال غير صحيحة، فإن

---

(١) هكذا في الأصل (الإتقان ١ / ٦٤) ولعلها: الحزم، بالحاء المهملة بدل الجيم المعجمة.
(٢) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٣، ٦٤ .
(٣) الإتقان، جـ١ / ٦٤ .
(٤) نفسه، جـ١ / ٦٤ .
(٥) الإتقان، جـ١ / ٦٤، والبرهان جـ١ / ٢١٧ .
(٦) الإتقان، جـ١ / ٢٥ .

الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ ـ كما ثبت في حديث عمر وهشام وأبيّ وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم ـ لم يختلفوا في تفسيره (أي : القرآن) ولا أحكامه، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه[١]."

إن هذه الآراء يمكن أن تفسر بها أقسام القرآن الكريم، أما أن تكون مفسرة لحديث الأحرف السبعة فإن ذلك غير صالح. والذي لا نشك فيه أن الداعي الذي كان وراء ادعاء بعض المستشرقين أن حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" لا علاقة له باختلاف القراءات أن ذلك الداعي هوهذه المذاهب المختلفة من الأنواع أوالمعاني التي ألصقت بالحديث المذكور خطأ، يقول جولد تسيهر : إن الحديث "في معناه الصحيح الذي لم يقف علماء الدين الإسلاميون أنفسهم موقفا واضحًا منه لا علاقة له في الأصل بتاتا باختلاف القراءات بَيْدَ أن كثرة إهاجة[٢] نص القرآن حملت في وقت جدّ مبكر على تفسير الحرف في هذا المقام بالقراءة[٣]."

وهذا غير صحيح على الإطلاق، بل إن حديث "الأحرف السبعة" لا مجال لإطلاقه إلا مجال اختلاف القراءة، وهوما ثبت في توضيحنا السابق.

غير أن ذهاب علماء المسلمين فيه تلك المذاهب المختلفة ـ إذا ثبت ذلك ـ أخلط على الدارسين فهمه. وما نظن أن إنكار "جولد تسيهر" لتلك العلاقة إلا نتيجة لهذا الخلط، فإن ذلك وارد جدًا، وقد يكون ذلك الإنكار منه مقصودًا أيضا، وهوأمر غير مستبعد من بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من أهل الزيغ والضلال، ذلك أن بعضهم واعتمادًا على القاءات المختلفة لحديث الأحرف السّبعة قد ذهب إلى القول بأن ذلك يعني أنّ في القرآن اختلافا كثيرا لا مجرد اختلاف في طرق أدائه[٤].

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٥ .

(٢) هكذا في الترجمة العربية، ولعلها تعني: استحضار النص للمعاني المختلفة.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ترجمة د.عبد الحليم النجار. دار اقرأ ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ٥٣ .

(٤) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ٩٦ .

"والحقيقة أن كثرة الأقوال وتهافتها، وضعف الروايات وسقوطها، مكّن لأعداء الإسلام من التهجم على الكتاب الخالد الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت : ٤٢] وأتاح لهم فرصة الاعتراض والتشكيك[١]."

ـ الرأي المختار :

"الأحرف تعني الأوجه والقراءات" :

لابد بعد معرفة هذه الاختلافات العميقة حول معنى حديث الأحرف السبعة من أن نرسوعلى شاطئ أمان نطمئن فيه إلى حقيقة معنى هذا الحديث، فما هي تلك الحقيقة؟

إن حديثنا منذ البداية بخصوص هذا الأمر يجنح إلى التشبث بقرينتين اثنتين هما:

أ ـ مناسبة رواية حديث الأحرف السّبعة كقرينة قطعية لا تضاهيها قرينة أخرى.

ب ـ أصل معنى لفظ "الحرف"، في اللغة واستعماله في صدر الإسلام.

أما مناسبة رواية حديث الأحرف السّبعة فقد بيّنتها نصوص الحديث في رواياته المختلفة والتي عرضناها من قبل حيث ثبت أنه لا مناسبة له غير اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في قراءة القرآن بناء على ما سمعه كل واحد منهم عن الرسول ﷺ، وأن رسول الله ﷺ لم يُرد إلا معنى واحداً من تلك المعاني التي ذهب إليها علماء المسلمين وغيرهم فأخلطوا القول أقاويل في الحديث حتى عاد عليه بالتعمية والجهل بعد أن زاد الحد عن حدّه فانقلب إلى ضده[٢].

إن الذي ينظر بإنصاف إلى الروايات الواردة في الحديث لا يشك في وضوح المراد من الأحرف السّبعة وأنها أوجه ترجع إلى كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ويختلف بسببها تأدية تلك الألفاظ[٣].

---

(١) دراسات في علوم القرآن، ص ٩٧ .

(٢) انظر: الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، ص ٨٦، ٨٧ .

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص ٩٢، ٩٣ .

وإن المتمعن في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الحديث رقم ١) أوقول أبي ابن كعب (الحديث رقم ٢) أولفظ حذيفة (الحديث رقم ٤) وكذلك قول ابن مسعود (الحديث رقم ٦) ـ لا شك ـ سوف لن يذهب بعيدا فيحمل الأحرف السبعة ما لا تحتمله، عدا دلالتها على أوجه القراءة كما علمها كل واحد من الصحابة عن الرسول ﷺ، ومن ثم، فحديث الأحرف السّبعة بريء من تلك المعاني التي حمّلها إياه بعضهم غير الأوجه، وهوأيضا بريء مما نسب إليه من إشكال (في الرأي الأول) لأن القرينة التي توضح المعنى المراد منه موجودة، وهي القرينة الحالية، فهي تمنع من أن يكون معناه غير الأوجه.

وأما تشبثنا بأصل معنى الحرف في اللغة فإنه يعني بصورة أخرى تشبثنا في تفسير الحديث المذكور بأهمية زمانه الذي قيل فيه، فنحن نعتقد جازمين أن المعاني الأخرى المجازية مما قيل بدلالة الحرف عليها مثل اللغات أوالأصناف أوالمعاني هي محدثة بعد ذلك بزمن بعيد، فهي ترجع إلى عصر التدوين وعصر نشاط العلوم الإسلامية بشكل عام.

إن معنى الحرف في الأصل : الطرف والجانب، فحرف كل شيء : طرفه وشفيره وحدّه، وحرف كل شيء أيضا : ناحيته، ومنه قيل : فلان على حرف من أمره، أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقّع، فإن رأى من ناحية ما يحبّ وإلا مال إلى غيرها[١]، ومنه جاء قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ** ﴾ [الحج: ١١]، قال الزمخشري : "على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه[٢]"، فهويعبد الله على السراء دون

---

(١) انظر: لسان العرب جـ٢ / ٨٣٨، مادة: حرف. (٢) الكشاف، جـ٣ / ١٤٦ .

الضراء، أوكما قال أبو عمرو الداني : "على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضرّ ترك العبادة وكفر، فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، فلهذا سمي النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفًا على معنى أن كل شيء منها وَجْهٌ(١)".

ومعلوم أن القبائل العربية كانت بألسنتها عادات متأصلة فيها، تجعلها تنحرف بألسنتها انحرافات متباينة كان من الصعب التخلص منها، وهو ما جعل النبي ﷺ - بوحي من الله - يتسامع في ذلك رغبة منه في تبليغ القرآن الكريم إلى أوسع شريحة من تلك القبائل، وترغيبا منه لهم في قراءته وحفظه، فوجدته ﷺ يسأل الله معافاته ومغفرته بأن أمته لا تطيق ذلك، فهي أمة أمية تطبعت ألسنة قبائلها على عادات لا تزول عنها إلى غيرها.

من تلك العادات ما كان عند الهذلي من نطقه الحاء عينا فيقول مثلا "عتى عين" يريد "حتى حين"، وما كان عند الأسدي من كسر حرف المضارعة، وما كان عند التميمي من همز وعند القرشي من تسهيل، وما كان عند آخرين من إشمام الضم الكسر أوالعكس، وكان عند غيرهم من إمالة أوتفخيم أوترقيق، وغير ذلك، فتلك حروف لسان، أي تطرفه أوتوجهه توجها غير توجه الآخر.

إن هذا هوأرجح الأقوال - فيما نرى - وقد ذهب إليه فحول من علماء المسلمين وأئمتهم نذكر منهم ابن قتيبة وأبا الفضل الرازي وأبا عمروالداني (ت ٤٤٤ هـ)، وابن عبد البرّ النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) وابن الجزري، وابن حجر العسقلاني، والقاضي ابن الطيب أبا بكر الباقلاني وغيرهم.

وقد مال إلى ذلك كثير من الدارسين، فمن قائل : "والأحسن في الجواب أن

---

(١) النشر، جـ١ /٢٣ .

يقال : إن المراد بالأحرف[١] السّبعة الأوجه السبعة التي يجوز أن يقرأ به[٢]" ومن قائل : إن الأحرف تعني "الأوجه التي يحصل بها الاختلاف الذي يتنوّع في اللفظ والمعنى[٣]."

وقد ذهب بعضهم ـ خلال القرن الرابع الهجري ـ إلى اعتبار الأحرف السبعة هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، وهورأي بيّن فساده وقد تعقبه علماء مجتهدون فردوا على ذلك وبيّنوا أنه دعوى باطلة وصفوا صاحبها بالجهل، قال ابن الجزري : "وتفسير الحديث بهذه القراءات السبع خطأ فاحش وجهل من قائله، ولم تكن القراءات السبع متميزة إلا في قرن الأربعمائة.."[٤] وقال ابن تيمية : "لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة [. . .] ليست قراءات القراء السبعة فقط[٥]."

ومع أن هذا الرأي ـ القديم ـ بيّن خطؤه كما أوضح ذلك ابن الجزري وابن تيمية وغيرهما إلا أن بعض الدارسين المحدثين تمسكوا به بدعوى أن من معجزات النبي ﷺ الإخبار بالغيب، ومن ثم فلا عجب أن يراد ـ حسب زعمهم ـ بالأحرف السبعة القراءات السبع المتواترة المعلومة التي جمعها ابن مجاهد[٦].

إن هذا الرأي يكون مقبولا مستحسنا لوأن أصحابه اكتفوا فيه بالتأكيد على أن الأحرف السبعة هي "القراءات" بصيغة الجمع المطلق غير المحدد بالعدد سبعة الذي يشير إلى القراءات التي جمعها ابن مجاهد، وإن كان ذلك لم يرتضه بعض علماء المسلمين، وهورأي منسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي حيث يرى أن الأحرف معناها القراءات وواحدها أي الحرف معناه قراءة[٧]. وقد تعقب ذلك الزركشي

---

(١) في الأصل "القراءات" والصحيح ما أثبتناه.
(٢) الكلمات الحسان، ص ٩٥ .
(٣) نفسه، ص ٩٥ .
(٤) منجد المقرئين، ص ١٢٧ .
(٥) نفسه، ص ١٢٩ .
(٦) انظر: علوم القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠، ٦١ .
(٧) انظر: البرهان جـ ١ / ٢١٤ .

ووصفه بأنه "أضعف" الآراء التي قيلت حول معاني الأحرف السّبعة[1]، ولكننا نرى أنّ :

ـ رأي الخليل جدير بالاتباع :

إن الخليل بن أحمد قد تفرّد في القول بأن الأحرف السبعة هي القراءات، والذي لا شك فيه " أن انفراده بالرأي هنا لم ينتج من قلّة إحاطة أوتدبّر، ومثله لا يقول الرأي بلا استبصار[2]"، إذ كيف يكون إماما في العربية وحجة النحاة وإمامهم، ويتربع على عرش عروض الشعر بلا منازع، فلا يكاد يذكر غيره إلى جانبه في هذا المجال، بل لم يستطع أحد أن يزيد عليه شيئا إلى عهد قريب منا ـ كيف يكون على هذه الدرجة من التفرد ثم يوصف رأيه في أمر الأحرف السّبعة بأنه "أضعف الآراء" أويوصف رأيه هذا بالتوهين والشذوذ[3].

إن الذي تشير إليه المصادر أن الخليل لم يقرن لفظ "القراءات" بالعدد "سبعة" إنما ذكره مستقلا على الإطلاق أو التعميم. ونعتقد جازمين أن من حكم على رأيه بالتوهين أوالضعف يكون قد أخطأ التقدير حينما اعتقد أن الخليل أراد تلك القراءات السبع التي جمعت على رأس المئة الرابعة أوبعد ذلك، وهوفهم خاطئ يعود على أصحابه.

إن الخليل بن أحمد قد توفي سنة سبعين ومائة هجرية (١٧٠ هـ) أي قبل وفاة ابن مجاهد (سنة ٣٢٤ هـ) ـ مسبع السّبعة ـ بأكثر من قرن ونصف القرن، ومن الخطإ الفادح أن يظن ظان أنه أراد بالأحرف تلك القراءات السّبعة، فالصواب إذاً أن يقال : إنه أراد أن تلك الأحرف المذكورة في الحديث الشريف السابق هي قراءات قرأ بها النبي ﷺ وتلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم أئمة السلف. فهذا الفهم لرأي الخليل "هواللائق بمكانته ومنزلته العلمية[4]".

---

(١) انظر: البرهان جـ١ / ٢١٤ .
(٢) القراءات المتواترة، ص ٣٦ .
(٣) انظر: القراءات المتواترة، ص ٣٦ .
(٤) القراءات المتواترة، ص ٣٧ .

إن القراءة ـ كما سبق ذكره ـ هي كيفية أداء كلمات القرآن الكريم، وهي بهذا المعنى لا تختلف عما يدل عليه الحرف كما ورد في الحديث الشريف، فأنْ تسميَه وجهًا أوقراءة فهو- عندنا – سيّان، وقد قال بذلك أبوعمروالداني حيث ذهب إلى أن للأحرف معنيَيْن :

الأول : أنها أوجه.

والثاني : أن "معناها أن يكون ـ الله ـ سمى القراءات أحرفًا[١]".

وكذلك سماها ابن الجزري فقال : "هي الأوجه والقراءات[٢]."

إن الميل إلى أن الأحرف تعني القراءات بمفهومها الواسع قد أخذت دائرته تتسع منذ الخليل، وهوأمر تنبه له المستشرق "جولد تسيهر" إذ نجده يصرح "أنّ كثرة إهاجة نص القرآن حملت في وقت جدّ مبكّر على تفسير الحرف في هذا المقام بالقراءة[٣]." وهوما أشارت إليه بعض الدراسات اللغوية العربية المعاصرة فقيل : إن الحرف أطلق في البدء على اللغات ثم أصبح يعني قراءة قرآنية[٤]. ولعل مانجده من مبادلة بين الحرف والقراءة، أي تسمية أحدهما بالآخر عند بعض أعلام اللغة العربية الأوائل ـ لعل ذلك يكون دليلا قويا على ترجيح رأي من ذهب إلى أن الأحرف تعني القراءات، فهذا الفراء الكوفي (ت ٢٠٧ هـ) يقول في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ ﴾ [غافر: ٥] : "وفي حرف عبد الله برسولها[٥]"، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [غافر: ٨] يقول : "وبعضهم يقرأ : جنة عدن، واحدة، وكذلك هي في قراءة عبد الله واحدة[٦]." فعنده أن القراءة والحرف سيّان.

---

(١) النشر، جـ١ /٢٣ (٢) نفسه، جـ١ /٢٥ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٥٣ .

(٤) انظر: أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، د. عفيف دمشقية، ص ١٤، وانظر: النحو والقراءات (دكتوراه) ـ محمد شَاطر، ص ٣٩

(٥) معاني القرآن للفراء. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار دار السرور، القاهرة، جـ٣ /٥ .

(٦) معاني القرآن جـ٣ /٥ .

إن هذا كله يعني بالضرورة أن رأي الخيل غير شاذ ولا ضعيف، وكان من الأجدر أن يلصق الضعف والشذوذ بتلك الآراء التي ذهب أصحابها إلى أن الأحرف السبعة هي معاني الأحكام أوأنواع القرآن وأصنافه وعلومه.

لقد شاع بين الدارسين والعلماء من قبلهم أن القراءات المتواترة السّبع أو العشر التي اشتهرت هي جزء من الأحرف السبعة[1]، فماذا يعني هذا ؟ هل يمكن أن يكون الشيء جزءا من شيء آخر يختلف عن مادته أوطبيعته التي هومنها ؟ إذا حصل شيء من ذلك فإنه ـ لا شك ـ مناقض للمنطق ولطبيعة الأشياء، ومن ثم وجب الإقرار بأن مذهب الخليل بن أحمد في أمر الأحرف السّبعة مذهب حق وصواب.

ثالثا : علة نزول القرآن على سبعة أحرف

كان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة، ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها إلى غيرها، إذ لوكلفهم الله تعالى مخالفة ما نشأوا عليه لشق عليهم ذلك، ومن ثم وجدته سبحانه وتعالى يأذن لرسوله ﷺ بأن يقرئ الناس على حروف مختلفة تيسيراً عليهم وتماشيا مع روح الدين الجديد من أنه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد اقتضت رحمته تعالى بهذه الأمة أن يخفف وييسر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها، فكان من الحكمة أن يقرئ الرسول ﷺ كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها رغبة في تبليغ الرسالة المنزلة إلى العرب كافة، ومن خلالهم إلى شعوب المعمورة قاطبة.

إن العرب على اختلاف قبائلهم كان فيهم من حمية الجاهلية ما يحول دون تخليهم عن عاداتهم ثم الأخذ بغيرها، إضافة إلى ما في ذلك من مشقة وما يتبعه من

---

(١) قال ابن الجزري في أمر القراءة الصحيحة: "هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن." النشر ١ / ٩ ومنجد المقرئين ص ٢١٩ .

سوء فهم للمراد في الكتاب المبين، وهوأمر خطير قد يؤدي إلى قلب الدلالات أوالتباسها.

إن الرسول ﷺ كان واعيا بتلك الفروق اللغوية أواللهجية حتى ما كان منها على مستوى اللفظ الواحد مثل الإمالة والهمز والمد وغيرها، ولذلك وجدته حريصا على تدليل ذلك بين القبائل جميعها، بل حتى بين أفراد القبيلة الواحدة، وكان فوق ذلك كله يعلم أنه قد بعث في "أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط." وكان حريًّا به أن يتوجه إلى الله بالدعاء طلبا للتوسعة في حروف القراءة فكان يقول لجبريل عليه السلام : "اسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك" وقد كان له ما أراد.

وقد اهتم علماء الأمة بالحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف فعرضوا لها وبسّطوا القول فيها، من ذلك ما أورده ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ونقله عنه ابن الجزري في (النشر) حيث قال : "فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيّه ﷺ أن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ "عتى عين" [يوسف: ٣٥] "يريد : حتى حين... والأسدي يقرأ "تعلمون وتعلم" و﴿ **وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ** ﴾ [يس: ٦٠]. كل ذلك بكسر حرف المضارعة ـ، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ "قيل لهم" ﴿ **وَغِيضَ الْمَاءُ** ﴾ [هود : ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر و﴿ **بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ** ﴾ [يوسف: ٦٥] بإشمام الكسر مع الضم، و﴿ **مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا** ﴾ [يوسف : ١١] بإشمام الضم مع الإدغام[١]." وزاد ابن الجزرى على هذا فقال : "وهذا يقرأ : عليهمُ وفيهمُ، بالضم، والآخر يقرأ : عليهمُو ومنهمُو، بالصلة... والآخر يقرأ : موسى وعيسى، بالإمالة، وغيره يلطف، وهذا يقرأ "خبيراً وبصيراً" [يوسف : ١١] بالترقيق، والآخر يقرأ : الصلاة والطلاق، بالتفخيم، إلى غير ذلك.[٢]" قال ابن قتيبة : "ولوأراد كل

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٢، ٢٣ .

(٢) النشر، جـ١ / ٣٢ .

فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين[١]".

وحول هذا الأمر أي سبب ورود الحديث على سبعة أحرف قال ابن الجزري قولا لا يختلف في عمومه عما قاله ابن قتيبة، وهذا نص ذلك :

"فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيّها أفضل الخلق وحبيب الحق... وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أومن حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه ﷺ، فلوكُلِّفوُا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُسْتَطاع[٢]."

وقد اعتمدت فكرة التيسير والتسهيل في الأحرف السّبعة ـ أحرف القرآن ـ كرأي ضمن الآراء الكثيرة التي رويت حول معنى حديث أحرف القرآن، قال الحافظ أبوحاتم بن حبّان بن أصبغ السبتي الأندلسي (ت ٣٥٤ هـ) إنه اختلف فيها على خمسة وثلاثين قولا منها " أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به[٣] الحصر[٤]." ونقل السيوطي عن القاضي عياض "أنه ليس المراد بالسّبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسَّعَةُ، ولفظ السّبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السّبعون في العشرات والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعيّن[٥]."

---

(١) النشر جـ١ / ٢٣، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٧٩ عن: تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة، طبعة الحلبي ١٩٥٤، ص٣٠ .

(٢) النشر، جـ١ / ٢٢ .

(٣) الهاء تعود على حديث الأحرف السبعة.

(٤) البرهان، جـ١ / ٢١٢ .

(٥) الإتقان، جـ١ / ٦١ .

وهذا القول ذكره ابن الجزري دون إسناد فقال : "ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ** ﴾ [البقرة: ٢٦١] و﴿ **إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً** ﴾ [التوبة : ٨٠]، وقال ﷺ في الحسنة "إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة" وكذا حمل بعضهم قوله ﷺ : "الإيمان بضع وسبعون شعبة"(١) وقد أقر بهذا بعض المحدثين منهم المستشرق "جولد تسيهر" حيث قال : "وليس مفترضا، فيما يبدو، أن يكون القصد إلى تحديد حسابي ثابت مفهوم من عدد السبعة في هذا الحديث... بل المراد من هذا العدد حتى في حالة اتخاذه دليلا على فروق النصّ (أي اختلاف القراءات) هوإفادة معنى الكثرة، فالقرآن على أحرف كثيرة العدد، وكل منها يمثل على قدم المساواة كلام الله المعجز."(٢)

كل هذه النصوص السابقة تشير إشارة واضحة إلى أن الأحرف السبعة ليس القصد منها حقيقة ذلك العدد المحصور بين الستة والثمانية، إنما المراد هوالكثرة العددية التي قد تكون مساوية حقيقة للعدد سبعة وقد تكون غير ذلك من أوجه القراءات التي لا تخرج عن ألسنة العرب خلافا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرى أن "قصد التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم... فليست تلك الحروف السبع التي أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية..."(٣) وهورأي غريب في بابه لم يقل به غيره، فهويناقض قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الزخرف: ٣] وقوله : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [يوسف: ٢] وقوله ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقد تُجَاوِزَ السَّعَةُ في الأحرف العددَ سبعة، إلا أن الغالب فيها – كما يبدو –

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٦ . (٢) مذاهب التفسير الإسلامية ص ٥٤ .

(٣) في اللهجات العربية. د إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٨٤، ص ٥٦، ٥٧ .

يتأرجح بين الواحد والسبعة كما يشير إلى ذلك ظاهر نص الحديث "رقم ٣" وأن جبريل عليه السلام جاء في المرة الأولى بحرف واحد، وفي الثانية بحرفين، وفي الثالثة بثلاثة أحرف، وفي الرابعة بسبعة أحرف.

ولم يزد على ذلك حرفا، وفي حديث أبي بكرة أن الرسول ﷺ - بعد بلوغ العدد سبعة - قال : "فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة[١]." وقد فَسَّرَ ذلك ابن الجزري بإرادة العدد سبعة وانحصاره[٢]. والأرجح أنه دال - في الحديث - على أي عدد من الأعداد السابقة عليه بدءاً من الواحد حتى السادس أيضا، يدل على ذلك ما رواه الحاكم : "أنزل القرآن على ثلاثة أحرف[٣]." وقد علق أبوشامة على الحديث بقوله : "يحتمل أن يكون معناه أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف...أوأراد : أنزل ابتداء على ثلاثة ثم زيد إلى سبعة[٤]." وذهب الزركشي إلى أن "معنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يقرأ على حرفين، وعلى ثلاثة، وأكثر إلى سبعة أحرف[٥]."

وأكثر الثلاثة إلى السبعة يمكن أن يكون أربعة أوخمسة أوستة، وهوما يتفق مع ما رُوي عن مجاهد من أنه "كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[٦]."

وأما ما قَلّ على الثلاثة فيتفق مع ما رواه سالم مولى أبي حذيفة من "أن سعيد ابن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين[٧]."

إن كل ذلك يدل على أقصى مدى لأحرف القرآن الكريم - في الغالب - هوالعدد سبعة، وأدناها حرف واحد.

---

(١) انظر: النشر جـ١ / ٢٦ .
(٢) انظر: النشر جـ١ / ٢٦ .
(٣) البرهان جـ ١ / ٢١٢ .
(٤) البرهان جـ١ / ٢١٢
(٥) نفسه جـ١ / ٢١٢ .
(٦) الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات ص ٣٤ .
(٧) نفسه، ص ٣٤ .

رابعا : علة تعدد قراءات القرآن

إذَا كان لا بد من الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات فإنه لا سبيل إلى إنكار أن الأحرف السبعة هي أصل القراءات المتواترة المشهورة، ومن ثم فإن تفسير تعدد هذه القراءات لا يخرج عن الإطار الذي فُسّرت فيه الأحرف السّبعة وتعددها، من كون العرب الذين نزل بينهم القرآن لغاتهم شتى وألسنتهم متفرقة، وأن فيهم من تتحكم فيه حمية الجاهلية أولا يطيق التَّحَوُّلَ عمّا نشأ عليه من عادات، ثم إن القرآن لَمّا أنزل كان من الأهداف المرسومة له أن يُبَلَّغَ مشافهة إلى أوسع شريحة من الأمة، فكان لا بد من التسامح في كيفيات أدائه كما قرأ بها الرسول ﷺ أوبالطريقة التي قرئت بها من الصحابة بحضرته وأقرها ﷺ.

إن اختلافات الصحابة في القراءة كانت يسيرة في المراحل الأولى من الوحي ثم مافتئت أن ازدادت تباينا في المراحل الأخيرة منه، وذلك بعد كثرة القُرّاء من جهة، وكثرة القبائل التي دخلت تحت لواء الإسلام والتي تتباين لهجاتها من جهة ثانية.

وقد وُثّقت هذه الاختلافات مع توثيق النص القرآني على عهد الخلفاء الراشدين، بل إن الصحابة من القراء سعى كل واحد منهم إلى التشبث بما انفرد به عن الرسول ﷺ وتبليغه إلى أهل المصر الذي انتهى إليه مقامُه.

هذا هو الإطار العام الذي احتضن القراءات منذ البدء مرورا بنسخ المصاحف العثمانية وما عرفته من تسامح في الإبقاء على قدر لا بأس به من تلك القراءات المتواترة إلى أن جاء عصر تدوينها على رأس المئة الثانية للهجرة "فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبَيَّنُوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، ومَيّزوا بيْن المشهور والشاذ، والصحيح والفَاذّ، بأصول أصّلوها وأركان فَصَّلُوها[1]".

---

(١) النشر، جـ١ / ٩ .

والذي يعنينا هنا بدرجة أولى هواختلاف القراءات المتواترة والمشهورة، وهواختلاف لا يعني أبداً أن فيها تناقضا أوتضاداً، وإنما اختلافها هواختلاف تنوّع وتَغَايُرٍ فحسب[١]، وهواختلاف يُصَدِّقُ بعْضه بعضًا، ويُفسّر بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض[٢].

أي أن تلك القراءات هي سواء في الأسلوب والغاية، بل هي كلها من إعجاز أسلوب القرآن الكريم[٣].

إن الذي عرضنا له من إطار تعدد القراءات لم يختلف فيه الدارسون قدماؤهم ومعاصروهم، فما مِنْ أحد منهم إلا وفَسَّرَ ذلك التعدد بذلك الإطار العام، فهذا أبوشامة الدمشقي يصرح بأن القرآن « فيه من جميع لغات العرب، أي من لهجاتها، لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك[٤]. » وهذا الدكتور عبده الراجحي يقول : إن "السبب الرئيس عندنا في اختلاف القراءات هوما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها، ومن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول، فالقرآن أُخذ بالمشافهة أوّلاً بين الرسول وجبريل من ناحية، ثم بين الرسول وصحابته، ومع كتابته له في الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وُجد الاختلاف [. . .] وعاش الصحابة مع الرسول يقرأون فيختلفون، واشتهر بينهم نفر كثير [. . .] ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرئون هناك، ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن [. . .] . وعلى هذا الأساس سارت الحال مع القراءات، فاختلف الصحابة أول الأمر في القراءة أيام الرسول ﷺ [. . .] وخرجوا مع الفتوح يقرئون الناس فتختلف قراءاتهم، وكانت المصاحف العثمانية المجموعة على حرف[٥]، وبعد إحراق ماعداها

---

(١) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٠ .

(٢) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢١ .

(٣) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٣٠ .

(٤) تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ١٠٢ .

(٥) مذهبنا أن عثمان جمع مصاحف على أحرف كثيرة متواترة بدليل اختلاف تلك المصاحف نفسها.

من مصاحف مُحْتَمِلَة للكثير من هذا الاختلاف، فكثر القراء الأئمة، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم[1] "

ولم يختلف عن هذا كثيراً الأستاذ عطية قابل نصر[2] حيث أرجع أسباب اختلاف القراءات إلى عدة أمور استخلصها مما قاله علماء القراءات، وهي[3] :

١ – أن مرجع هذه القراءات المتعددة إلى السّنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع، وكذا إلى النقل الصحيح المتصل سنده بالرسول ﷺ، إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه أوحسب هواه، فيغيّر عبارة بأخرى أوكلمة بمرادفها، لأن القراءة سنّة متبعة.

وإن في اختلاف الصحابة في القراءة على عهد الرسول ﷺ لخيرُ دليل على أنّ القراءة أساسها ومردها السماع من رسول الله ﷺ والنقل عنه، وليس للقياس أو الاجتهاد في ذلك دخل.

٢ – أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اخْتَلَفَ أخذُهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، ومن هنا نشأ اختلاف القراءات.

٣ – أن الخليفة عثمان رضي الله عنه حرص على أن يرسل مع كل مصحف صحابيا يُعَلّمُ الناس القرآن بما يوافق مصحفهم، فأقرأ كل صحابي أهل إقليمه بما سمعه من رسول الله ﷺ، وقد تمسك أهل كل إقليم بما تلقوه سماعًا من الصحابي الذي أقرأهم.

ومن أجل هذا ظهر الخلاف في القراءات، وبقي أهل كل إقليم محتفظين بما تركه فيهم ذلك الصحابي الذي لَقّنَهُم القرآن كما تعلمه من رسول الله ﷺ، ثم بقي الرواة عنهم متمسكين بذلك إلى أنْ تلقاه الأئمة القراء أصحاب القراءات المشهورة الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يتلونها وينشرونها فنقلها عنهم الرواة على ذلك الاختلاف.

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٨١-٨٣ .

(٢) مدرس الدراسات القرآنية وعميد معهد القراءات بالقاهرة سابقا.

(٣) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص ١٩، ٢٠ .

ولا يخرج عن هذا الإطار ما ذهب إليه الدكتور لبيب السعيد من أن القراءات قد اختلفت "باختلاف قراءات الأسلاف، وتفرق هؤلاء وأولئك في البلاد[١]"، ومن أن اختلاف الألسنة أواللهجات كان رأس أسباب اختلاف القراءات[٢]، مع العلم أن الدكتور لبيب السّعيد لا فرق عنده بين الأحرف السبعة والقراءات المتواترة فهما عنده شيء واحد[٣].

ولم يحد الأستاذ عبد الوهاب حمودة صاحب كتاب "القراءات واللهجات" عن النهج الذي رسمه الأسلاف وفسروا في إطاره أسباب تعدد القراءات، فعنده ـ كما هوعند غيره ـ أن أسباب اختلاف القراءات كان منتهاها "أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف ـ العثمانية ـ كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا من الصحابة... فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين بالأحرف السبعة[٤]."

هذا هو الإطار الذي احتضن القراءات القرآنية وأسس لعوامل تعددها واختلافها، وهي عوامل ـ كما لاحظت ـ داخلية لم تخرج عن الإطار العربي ولم تنفصل عن الظروف التي تم فيها استقبال دستور الأمة الجديد، ومردها بالأساس هوالسماع من الرسول ﷺ تسامحا منه وتيسيرا على الأمة وامتثالا لأمر الله سبحانه لما كانت ألسنة الأمة مختلفة، وذلك بغرض إحاطة جميع فئات الأمة بالقرآن قراءة وفهما، ثم تطبيق أحكامه وتبليغه للآخرين على صورته تلك.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن وراء تعدد القراءات القرآنية عوامل أخرى أهمها ـ حسب زعمهم ـ خلوالرسم العثماني من النقط والشكل. فما هي حقيقة ذلك؟ ذلك هومدار حديثنا في الفصل الموالي من هذا البحث.

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٠ .
(٢) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٢٦ و: القراءات المتواترة، ص ٢٧ .
(٣) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٢٦ وما بعدها. (٤) القراءات واللهجات، ص ٥٤، ٥٥ .